ومغازلات إحسان عبد القدوس لليهود، في قصصه قديمة، بدأت منذ الخمسينات، وهي تتأسس على نسج علاقات حب، بين الشخصيات اليهودية والمصرية، وعلى قيام الحروب العربية الاسرائيلية بإفساد هذه العلاقات الغرامية «الانسانية»، مع التأكيد على قدم الصداقة المصرية الاسرائيلية وثباتها، بالرغم من النزاعات والحروب[٣٤]. ولعلنا نتذكر جميعاً، قصته «بعيداً عن الأرض» التي كتبها عام ١٩٥١، عن علاقة حب بين فتاة صهيونية إرهابية، من منظمة الأراغون وبين فدائي مصري مقاتل في فلسطين عام ١٩٤٨، يترك كل منهما أُرض فلسطين، بعد الحرب وقيام «اسرائيل» ليلتقيا، في علاقة حب، في أميركا. وقد أنتجت هذه القصة سينمائياً ــ بعد قليل من التحوير المناسب ــ اثر المبادرة المصرية وبدء عملية التطبيع المصري الاسرائيلي[٣٥].

الصراع حضاري

كل ذلك، يتسق مع الترويج الجديد لفكرة أن الصراع بين مصر والعرب من جهة وبين «اسرائيل» من جهة صار «صراعاً حضارياً» شاملاً، تلك الفكرة التي كرِّست لها سائر وسائل الإعلام الرسمية،وهذا توفيق الملط، أمين لجنة الثقافة والإعلام والسياحة بمجلس الشعب وعضو اللجنة التأسيسية للحزب الوطني، يقول: ان اتفاقية السلام، في المقام الأول، تعني ان نتجه لتحقيق الرخاء الاقتصادي لشعبنا الذي ظل يعاني ويلات الحروب أكثر من ثلاثين عاماً مضت! وأعني أن نتجه إلى الانتاج بصفة رئيسية لأننا ما زلنا نعاني من المشكلة الاقتصادية التي هي بيت الداء. وفي مرحلة تالية تبدأ نظرتنا للأدب والفن، حيث سندخل مع اسرائيل في صراع حضـاري، والفن والأدب لا يمكن فصلهما عن الحضارة. كما يجب ان نعد أنفسنا، في المرحلة القادمة، لمعركة أقوى وأكبر، هي معركة البناء بكل أشكاله، بناء الانسان المصري الذي مزقته الحروب الاسرائيلية فنحن نعلم أن الشعوب تتمزق حضارياً بعد كل حرب تدخلها، فما بالنا والانسان المصري قد عانى معاناة شديدة منذ عشرات السنين[٣٦].

وفي هذا السياق الحضاري نفسه يتوقع الدكتور زكي نجيب محمود ان ينشط الفكر والابداع الأدبيين بنشاط أوجه الحياة المختلفة، التي ستزدهر في «مصر السلام» بعد انتهاء الحروب مع اسرائيل، تلك الحروب التي إمتصت شطراً كبيراً من جهودنا وشبابنا وأموالنا[٣٧].

وهذا «المنطلق الحضاري» ذاته، هو الذي انطلق منه توفيق الحكيم وحسين فوزي وغيرهما فيما دعوا إليه من دعاوي، إقليمية انعزالية، تهدف في صلبها إلى تبرير الخط السلطوي، وتفسير التحالف المصري الاسرائيلي تفسيرات تاريخيـة بحيث قام تـوفيق الحكيم، وما زال يقوم، بدور المنظِّر الفلسفي لفصم مصر عن العالم العربي، وتقليص دورها العربي في هذه المنطقة، وخاصة في المشرق العربي فيتطابق ذلك الدور مع المخطط الصهيوني الذي تستهدفه اسرائيل وحليفها الغربي الأميركي؛ إذ في أعقاب زيارة القدس مباشرة، كان الحكيم أول من طالب بإسقاط قضية فلسطين، وعقد صلح منفرد بين مصر واسرائيل[٣٨]. وفي الفترة ما بين ١٩٧٨/٣/٣ حتى ١٩٧٨/٥/١٢، قاد توفيق الحكيم